

ملخص البحث

تشكل بنية العنوان أهمية بالغة في فلسفة النقد المعاصر، فهي الواجهة الأولى التي تفصح عن جلِّ الدلالات الممكنة للمتن الإبداعي حتى أضحت نصًّا موازيًا يؤدي دورًا سيميائيًا في تحديد الدلالة من زاويةٍ وتؤدي دورًا جماليًا / إغرائيًا يحفز فعل القراءة. ودخول أدغال النص لاستكناه معالنه الجمالية والدلالية من زاويةٍ أخرى. يقوم رهان هذه الورقة البحثية على تقصي الاشتغالات السيميائية والشعرية في المجموعة القصصية " على هامش صفحة " للقاصّة فضيلة بهليل كأنموذجٍ اتخذ من جهاز العنوان بُعدًا جماليًا باذخ الدلالات، مرتكزا على قضية اجتماعية حاولت القاصة إثارتها تتمثل في سلطة الذكورية التي همشت الأنثى في مجتمعاتٍ عديدةٍ، فقد ضمنت القاصّة هذه الثيمة الموضوعية في عناوينها بأشكالٍ جمالية وسيميائية متعددة، سنحاول الكشف عنها من خلال استنطاق جهاز العنوان داخل متن المجموعة القصصية.

كلمات مفتاحية: العنوان، السيمياء، الغلاف، القصة، العتبات النصية، السرد، المربع السيميائي

ABSTRACT:

The title structure has a great importance in the modern criticism philosophy, it is the first façade which declares most of the possible denotations of the artistic text, until it became a parallel text in itself, playing a semiotic role in determining the meaning from a certain point of view, and playing an aesthetic/ seductive role which stimulates the action of reading and going into its depths to absorb its aesthetic and semiotic landmarks from another point of view.

The aim of this research paper is to investigate the semiotic and poetic usage in the story collection " On a Page Margin" for its author Fadila Bhailil, as a sample that took the structure of the title as a rich aesthetic dimension, basing it on a social issue which is the masculine authority that marginalized women in several societies. The author included this topic theme in her titles in several aesthetic and semiotic forms. This research paper will attempt to uncover these forms through investigating the machinery of entitling in the story collection at hand.

Keywords: semiotics, cover, story, text thresholds, narrative, semiotic square...

1. مقدمة:

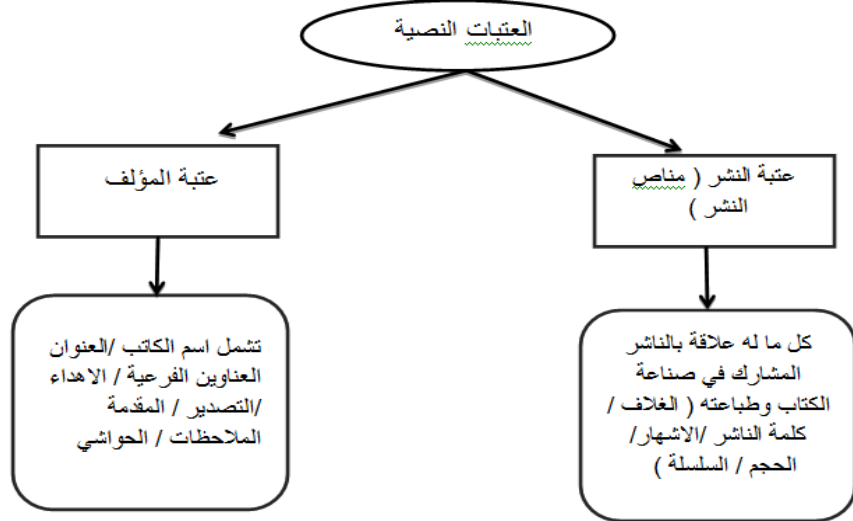
تؤدي بنية العنوان دوراً مهماً في تأثيث جماليات النص، وتحديد دلالاته، لذا حظيت باهتمام بالغ في فلسفة النقد المعاصر حتى أصبحت جهازاً مفهوماً قائماً بذاته .

فالعنوان هو العتبة النصية الأولى التي تقتصد جلّ الدلالات الممكنة في شكلها اللغوي المضغوط بعناية وقصدية معاً ، وهو أيضاً الواجهة البصرية الأولى التي تتركس سلطة الإغراء من أجل ممارسة فعل القراءة ، ممّا ينتج من تأويلات متعدّدة، تدفع المتلقي إلى الغوص في كنه النص و أغواره الدلالية لاكتشاف مجاهليه ، فالعنوان ببساطة هو شهوة القراءة .

ويُدرس العنوان ضمن مفهوم العتبات النصية أو ما أصطلح عليه- في الترجمات العربية - : بالنص المصاحب /النص الموازي /المناص، ويعد مشروع (جيرار جنيت) الحلقة النهائية التي بلورت المصطلح بمفهوماته الاجرائية ، حيث يُعرّف العتبات النصية على أنها : " كل ما يجعل من النص كتاباً، يفتح نفسه على قرّائه، أو بصفة عامة على جمهوره، فهو أكثر من جدار ذو حدود متماسكة، تقصد به هنا تلك العتبة بتعبير بورخيس الهو الذي يسمح للكل من دخوله أو الرجوع منه ، وهو الهو الذي نلج إليه لنتحاور فيه مع المؤلف الحقيقي أو المتخيل " .¹

إذن، تشمل العتبات النصية عند جيرار جنيت العنوان، العناوين الفرعية، الإهداء، الصورة، كلمة الناشر، المقدمات، التذييل، الهوامش، والتصديرات، الملتقيات، القراءات النقدية، المقالات، التصريحات الصحفية وهلم جرا. أي كل ما يحيط بالمتن قبلها وبعدياً، فلا يعقل أن يقدم المؤلف نصه مبتوراً من المعلومات التي تُعرف به وبنصّه، ولا يمكن لدار النشر ألاّ تضع بصمات تدل عليها ، كما يجب أن يحدث ذلك العمل ردود أفعال معينة من القراء ، لهذا يُعرفه محمد بنيس أنه تلك " العناصر الموجودة على حدود النص داخله وخارجه في آن ، تتصل به اتصالاً تجعلها تتداخل معه إلى حدّ تبلغ فيه درجة من التعيين والاستقلالية ، وتنفصل عنه انفصالاً لا يسمح لداخل النصي كبنية وبناء أن ينشغل وينتج دلالاته. " ²

وتنقسم العتبات النصية حسب جيرار جنيت إلى نوعين يمكن توضيحها في المخطط التالي :³



الشكل 1: العتبات النصية

إذن العنوان عنصر من عناصر عتبات النص المتعددة والمهمة، فهو البؤرة التي تفتح شهية السؤال حول المتن، لهذا سنحاول استنطاق دلالاته من خلال المجموعة القصصية (على هامش صفحة) للقاصة فضيلة بهليل من خلال قراءة بنية العنوان بنوعيه (العام / الفرعي) .

2. العنوان العام / الرئيس /:

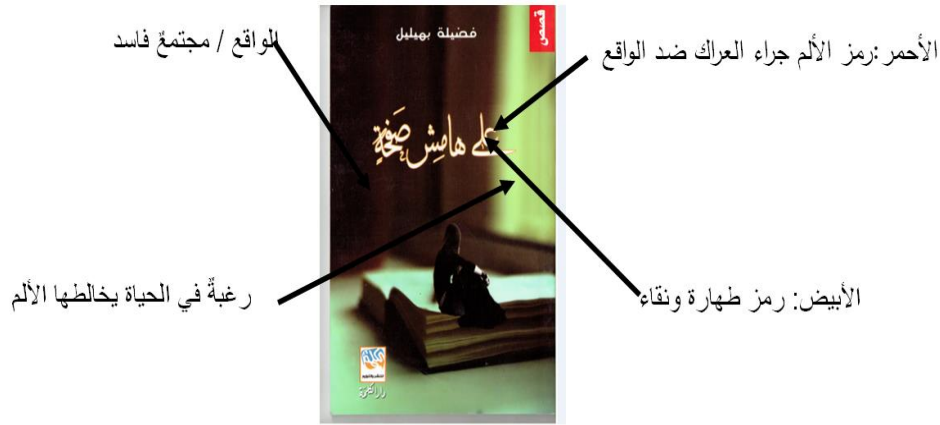
كان ليوهويك من أوائل النقاد الذين أخضعوا جهاز العنوان إلى القراءة السيميوطيقية من خلال الاعتناء ببنية التركيبية والدلالية ووظائفها في بناء صيغته ، فالعنوان "بكونه مجموعة من دلائل اللسانية يمكنها أن تثبت في بداية النص من أجل تعيينه والإشارة إلى مضمونه الجمالي من أجل جذب الجمهور المقصود"⁴.

في حين رولان بارت ذهب على أن العنوان العام هو عبارة عن أنظمة سيميائية تشي عن قيم أخلاقية واجتماعية وايدولوجية وهي عبارة عن رسائل مثبتة بعلامات دالة متشعبة برؤية العالم يغلب عليها الطابع الايحائي⁵. وذلك ما تحقق في المجموعة القصصية (على هامش صفحة) في الشكل الخارجي عبر ثلاثة مواقع :

2.2 على واجهة الغلاف:

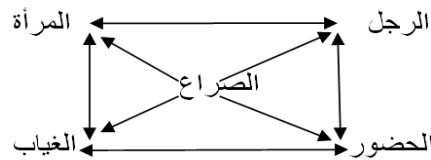
من الناحية البصرية ، يظهر العنوان في صفحة الغلاف بارزاً ، وبخطٍ غليظٍ أبيض يحده لون أحمر في فضاءٍ بنيٍّ قاتمٍ يميل إلى السّواد ، وإن اختيار هذين اللونين لم يكن عبثاً ، بل أدى وظيفته السيميائية التي ساعد في تحديد بعض دلالات العميقة في القصص الواردة في المدونة ، فاللون الأبيض؛ يتطابق مع شخصيات القصصية التي وردت إناثاً ، يجمع بينهنّ الطهارة والنقاء لكنّ أغلبهنّ كنّ ضحايا مجتمع فاسد أو رجلٍ يراهنّ دائماً بعين الشهوة ، وفارضاً هيمنته على صناعة هذا الواقع ، وهذا ما عبّر عنه باللون البني القاتم المائل إلى السواد ، أما اللون الأحمر الذي يحده اللون الأبيض للعنوان والفضاء البني ، يدل

على معركة الأنثى وثورتها ضد هذا الواقع المشؤوم الذي سبب لها ألما وحيرة ومرضا، وهذا قد برهن عليها اللون الأخضر المائل للصفرة، فهو تناقض جميل بين الرغبة في الحياة والأمل فيها من جهة، والخوف من الواقع من جهة أخرى.



الشكل 2: تحليل عنوان الغلاف

ومن خلال هذا التحليل يمكن استخلاص الثنائيات المجردة التي ساهمت في تولد النصوص الواردة في المتن القصصي، ويمكن إخضاعها للمربع السيميائي:



علاقة تضاد (الرجل / المرأة)

علاقة تناقض (الرجل / الغياب) (المرأة / الحضور)

علاقة تضمين (الرجل / الحضور) = محور هيمنة

(المرأة / الغياب) = محور الرفض / الصراع / الثورة

الشكل 3: المربع السيميائي

يجسّد المربع السيميائي الصراع القائم بين الرجل والمرأة من أجل صناعة الواقع، وفرض الهيمنة في كل جانب من جوانب الحياة، حيث يفرز التشاكل بين العلاقات مضمونا دلاليا عميقا، يبرز أن المرأة دائما ضحية معتقد اجتماعي فاسد أو رجل غادر تراه هي مخلصا لآلامها ويراهما هو مخلصا لنزواته وشهوته مما جعلها ترفض وتثور عن هذا الوضع لتحقيق حقوقها المشروعة وسعادته.

3.2 على ظهر الغلاف:



الشكل 4: ظهر الغلاف

ورد العنوان في أعلى الصفحة بلون أسود ،هذا اللون هو نقيض الأبيض ويُعرف لدى العديد من شعوب العالم كرمز للموت والحداد، إنه يرمز إلى البسالة والموت والصبر ، إنه لون الفوضويين ورمز للثورات والحركات المعارضة والغضب وكان يستعمل كرمزٍ للقوة⁶ ، وهو دلالة على أن القاصّة مثل كثير من شخصيات مجموعتها القصصية تحمل معنى الثورة والرفض ضد بعض الأفكار الاجتماعية الضالة التي جردت الأنثى من حقوقها.

4.2 على صفحة العنوان:



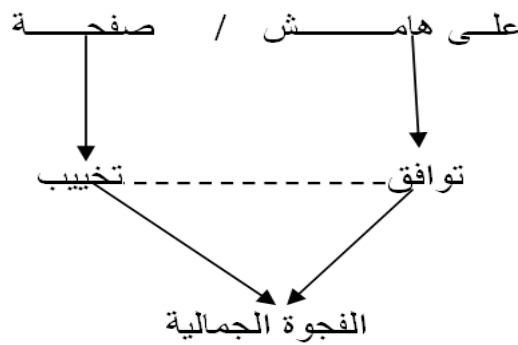
الشكل 5: العنوان الداخلي

ظهر العنوان على هذه الصفحة بنفس الشكل الذي ظهر عليه في واجهة الغلاف إلا من حيث اللون ،
فورد أسودا دلالة على الثورة على الواقع

5.2 دلالات العنوان العام:

يعتبر العنوان البوابة الأولى التي يلج منها المتلقي داخل النص الأدبي والتخييلي بصفة عامة ،فهو
"المدخل الذي يسمح للمتلقي أن يمسك بالخيط الأولية والأساسية للعمل المعروض"⁷.

(على هامش صفحة) عنوان مشاكس، فمنذ الوهلة الأولى للمتلقي يغازل ذاكرة القارئ حين يستدعي
مخزونه القرائي على استرجاع نص ألفته التجربة القرائية السابقة (على هامش السيرة لطفه حسين)،
لكن بمجرد عبور المتلقي إلى نهاية المقطع اللغوي للعنوان تولد الفجوة الجمالية حين يحدث الكسر على
مستوى التلقي أي التخييب لأفق التوقع، فتفتتح عبر هذا التخييب شقوقا عميقة تستدعي التأويل،
نتاج دهشة التلقي الأولى .



الشكل 6 : التحليل اللغوي للعنوان العام

ومنه نستنتج أن الكاتبة استطاعت الامساك بالمتلقي منذ اللحظة الأولى التي يتلقى فيها العنوان، وعليه
قد أدى هذا العنوان وظيفته الإغرائية. أما من ناحية البناء التركيبي للعنوان ،فقد استهلتها الكاتبة بشبه
جملة (على هامش) متعلقة بمبتدأ محذوف يقدره الضمير الوجودي (أنا)، فحذف هذا الضمير يؤدي
وظيفة التهميش التي تشكل بؤرة الحكي التي تنفجر منها الأحداث السردية لجميع القصص والواردة في
المجموعة .

أمّا من الناحية التركيبية فقد ورد العنوان على ذكر خبرٍ لمبتدأٍ محذوف تقديره أنا، فتقدير الكلام أنا
على هامش صفحةٍ ، وتكمن بلاغة حذف المبتدأ الذي جاء على صيغة الضمير الوجودي (أنا) لدلالة
على حالة تهميش الذات منذ الوهلة الأولى ،فالبحت عن تحقيق الذات الأنثوية في هذا المجتمع الذكوري
كان بمثابة الخيط الذي جمع بين جميع القصص الواردة في المجموعة.

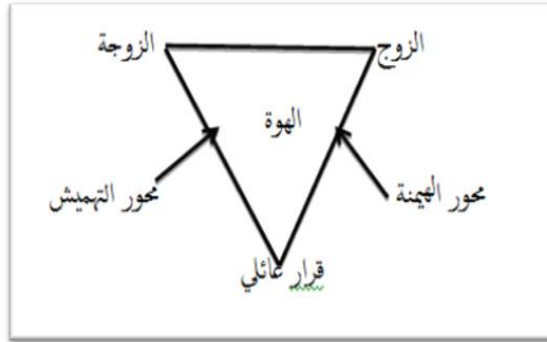
كما وردت كلمة صفحة على صيغة التنكير، للدلالة على أن حتى هذا الهامش الذي أُحيلت عليه الأنثى
داخل المجتمع هو هامش مجهول .

3. قراءة في بعض دلالة العناوين الفرعية - (نماذج مختارة):

غالبا ما تتوشج أبنيتها الدلالية ممّا يسقطه العنوان العام / الرئيس من ظلالٍ دلالية، " فتأتي بعده لتكملة المعنى"⁸ ، وهذا ما نجده راسخ الوجود في المجموعة القصصية (على هامش الصفحة) حيث قسمت مجموعتها إلى ست عشرة قصة ، يكاد يجمع بينها خيط دلالي واحد رفيع هو الخضوع والركون في الهامش وغالبا ما تكون الشخصية المهمشة أنثى، وهذا يتأكد في كثير من القصص الواردة في المجموعة. ولأنّ اخضاع جميع عناوين المجموعة إلى تحليل سيميّ القراءة بالتكرار والإطناب اخترنا نماذج من المجموعة نوفي بالغرض المقصود .

تفتح فاطمة باب السرد عبر قصة " أنا أفكر ... "⁹ معلنة ثورتها على زوجها الذي أكل الشك عقله في كل شيء حتى ضيع ابنه وابنته ، حين نهته ألا يظن مرة أخرى ، هذا نهى يحمل دلالة الأمر يخالطه العتاب واللوم في أن واحد إزاء التهميش أثناء صناعة القرار العائلي ، مما زاد الهوة بين الزوج وزوجته ، وهذا ما يمكن توصيفه في الخطاطة التالية :

تضع الكاتبة لهذه القصة عنوان (أنا أفكر ...) لتحفز القارئ على استرجاع قول ديكارت الفلسفي (أنا أفكر ، إذن أنا موجود) لكن شطر جواب الجملة الخبرية محذوفا ، وقد أدى هذا الحذف غايته الجمالية والدلالية ، من حيث أن الوجود هو محور الصراع بين الزوج والزوجة في هذه القصة



الشكل 7 : تمثيل القصة

أمّا في القصة الثانية "لا يعني ... "¹⁰ فتنفجر بؤرة السرد فيها بصوت صراخ امرأة تستغيث، تحاول فاطمة البحث عن الصوت إلى أن تجد صاحبتها فتاة تتعرض للعنف اللفظي والجسدي من شاب مفتول العضلات ، تتدخل البطلة (فاطمة) متقمصة دور المساعد للشخصية المظلومة ، بيد أن الفتاة ترفض هذه الاغاثة .

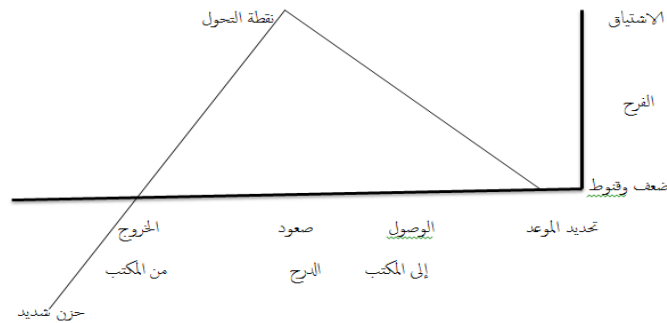
فالعنوان (لا يعني ...) جاء بصيغة المتكلم ، لكن الكاتبة تلبس قناعا تمثل في بطلة القصة "فاطمة" لتمرير رسالة مفادها: أيتها النساء أنتن من تكرسن هيمنة الرجل عليكن ، فهذه القصة أيضا رسالة غير

مباشرة للإعلان عن الثورة ضد سلطة الذكورة المزيّفة ، وتكمن أيضا شعرية هذا العنوان من خلال بلاغة الحذف كأن عنوان الكاتبة الأصلي هو (لا يعني هذا المجتمع الذكوري) .

أما قصة "ضريبة باهظة"¹¹ ، تتمحور أحداثها حول فتاة تحلم بالتوظيف غير أن قرار تحقيق هذا الحلم بيد ذئب بشري متنكر في ثوب رجلٍ ساومها بكل مكر بشرفها إلى أن نجح في بلوغ هدفه . غير أن الفتاة خرجت من المكتب بحالة أكلها الندم جراء تأنيب الضمير ، وفي نفس اليوم لقت حتفها بسبب حادث سير حين صدمتها سيارة .

تسعى الكاتبة من خلال هذه القصة وضع يدها على فساد اجتماعي أصبح فيه شرف الأنثى ثمنا في تحقيق أحلامها . وعليه نجد تطابق تام بين العنوان ودلالة القصة .

وفي القصة " السقوط حزنا "¹² ، تتصاعد الأحداث تشويقا ، كما تتصاعد خطوات البطلة على الدرج شوقا إلى مكان اللقاء بينها وبين الرجل الذي أحبته ، ثم تتفصل أحداث القصة حول موضوع الصراع بين الشخصيتين (العمل بعد الزواج) الذي أخذ حكم الرفض من طرف الرجل . لتتطور الأحداث حتى تصل إلى مرحلة موت عاطفة الحب و الحلم معا ، ومنه يمكن رصد تطور عاطفة الشخصية.. إذن عنوان السقوط حزنا قد أدى وظيفته في تحديد الدلالة العامة لأحداث هذه القصة .



الشكل 8 الخطاطة السردية للقصة

إنَّ القارئ للمجموعة (على هامش السيرة للقاصة فضيلة بهليل) يستطيع أن يكشف تيمة التهميش المهمة على جميع نصوصها القصصية ، ومنه نلمس نجاح العنوان العام في أداء وظيفته الدلالية والاستفزازية في إثارة فضول المتلقي، لما احتواه من جماليات واحتمالات دلالية . فكان العنوان العام وكثير من العناوين الفرعية علامات سيميائية تستحق الوقوف عندها .

4. خاتمة:

تحولت صياغة العناوين في الأعمال الأدبية إلى سياج يطوق الأبعاد الفنية والجمالية للنصوص الإبداعية المختلفة وبأجناسها المتعددة، بل أصبح علما قائما بذاته.

- يشغل العنوان أماكن معلومة - اتفق عليها النقاد- ، كالصفحة الأولى للغلاف، في ظهر الغلاف، وصفحة العنوان ... إلخ.
- يعد العنوان هاجسا ابداعيا وفنيا يتوسل جل الدلالات الممكنة في المتن الابداعي بأبعاده الشعرية والجمالية.
- صياغة العنوان فعل قصدي من الذات المبدعة، فهو يشكل البؤرة الدلالية والجمالية للعمل الإبداعي ، فالقاصة فضيلة بهليل كانت على وعي بأن صناعة الجهاز العنواني ضرورة ملحة في الأدب المعاصر.
- وعليه فإن علم العنوانه فتح أفقا قرائية جديدة للمتون الإبداعية، فهو مدخل نقدي مهم في فلسفة النقد المعاصر، لأنه قد يفضي إلى تعدد المآلات الدلالية، فهو متعلق بتأويلات المتلقين باختلاف خبراتهم السابقة، ومن شأنه أن يثري قراءات العمل الفني . ومنه وجب التنويه إلى العناية بالعناوين، فهي ميثاق الشراكة الأولية بين الفعل الإبداعي والفعل القرائي، هذه الشراكة التي تؤدي إلى ميلاد الأثر النقدي الجمالي من شأنها أن تدعم المكتبة النقدية الوطنية بكتب ومقالات في الأدب الجزائري المعاصر الذي يحتاج إلى مصاحبة نقدية جادة.
- المجموعة القصصية (على هامش صفحة) للقاصة فضيلة بهليل جسدت أنموذجا حيًا للاهتمام النص المعاصر ببنية العنوان.
- شكّل غلاف المجموعة القصصية رموزا سميائية أفصحت عن جل الدلالات الممكنة داخل النص الابداعي.

5. الهوامش:

- ¹- عبد الحق بلعابد ، العتبات النصية -جيرار جنيت من النص إلى المناص - منشورات الاختلاف ،الجزائر ط1 / 2008 ص44.
- ²- محمد بنيس ، الشعر العربي الحديث ، البنية وإبداعاتها التقليدية ، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 / 1989، ص 77.
- ³- ينظر ، عبد الحق بلعابد ، مرجع سابق، ص 44.
- ⁴- فيصل الأحمر ،معجم السميائيات ،منشورات الاختلاف الجزائر ،الدار العربية للعلوم الناشر، لبنان ، ط1/2002، ص226.
- ⁵- ينظر ،المرجع نفسه، ص226.
- ⁶- ظاهر محمد الزواهرة ، اللون ودلالته في الشعر ، دار الحامد ، عمان ، الأردن ط 1 ص 94.
- ⁷- جميل الحمداوي ، سيمونطيقا العنوان ، دار الريف للطبع والنشر الإلكتروني ،الناظور ،المغرب ،ص10.

- ⁸- محمد الهادي المطوي ، شعرية العنوان –كتاب الساق على الساق فيما هو الفرياق – مجلة عالم الفكر ، المجلد 28 عدد1/1991 ص 457.
- ⁹- فضيلة بهليل ، على هامش الصفحة ، دار الكلمة ، الجزائر ، ط1/ 2016 ص19.
- ¹⁰- المرجع نفسه ، ص 49.
- ¹¹- المرجع نفسه ، ص68.
- ¹²- 13 المرجع نفسه، ص.75

6. قائمة المراجع:

الكتب

- جميل الحمداوي ، سيمونطيقا العنوان ، دار الريف للطبع والنشر الإلكتروني ، الناظور ، المغرب.
- ظاهر محمد الزواهرة ، اللون ودلالته في الشعر ، دار الحامد ، عمان ، الأردن ط 1 ، 2008.
- عبد الحق بلعابد ، العتبات النصية –جبرار جنيت من النص إلى المناص – منشورات الاختلاف ، الجزائر ط1 / 2008.
- فضيلة بهليل ، على هامش الصفحة ، دار الكلمة ، الجزائر ، ط1/ 2016.
- فيصل الأحمر ، معجم السيميائيات ، منشورات الاختلاف الجزائر ، الدار العربية للعلوم الناشرون ، لبنان ، ط1/2002.
- محمد بنيس ، الشعر العربي الحديث ، البنية وإبدالاتها التقليدية ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 / 1989.

المجالات

- محمد الهادي المطوي ، شعرية العنوان –كتاب الساق على الساق فيما هو الفرياق – مجلة عالم الفكر ، المجلد 28 عدد1/1991.